وقفة: مع الاحتكار

لك أن تتخيّل قارئي الكريم، مجتمعًا يتضور بعض أفراده جوعًا، عضهم الفقر بنابه، ولحقت بهم الفاقة، فلا يجدون أدنى ضرورات العيش، بينما التجار في ذات المجتمع، يسرعون إلى الحاجات والسلع، فيحتكرونها، ويعملون على إخفائها من الأسواق، انتظارًا للغلاء، وطلبًا للثراء، وابتزازًا لأموال الناس، وذلك هو الاحتكار البغيض.

مع العلم أن تعاليم الإسلام، جاءت لبث روح التعاون والإيثار، وتفعيل التكافل بين المسلمين، والتركيز على ضرورة التراحم، والتعاطف بين الناس، ليهنأ الجميع بالحياة سعيدة، وحتى يكون المجتمع متماسكًا، لا تهزه العواصف، لا تؤثر فيه الفتن.

إن الإسلام يا أحبتي، لم يقف في وجه طلب الرزق، والسعي وراء تحصيل المال من وجوهه الشرعية، بل ذلك مطلوبٌ شرعًا، ومحمود عقلاً.

فالإنسان بلا أدنى شكٍ، في حاجة لمسكن، ومأكل، ومشرب،... وغير ذلك من الأمور التي لا غنًى له عنها.

والتجارة من أفضل طرق الكسب، ومن أجل الأعمال التي يتقرب بها العبد لربه، فالتاجر الصدوق يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء.

ولشرف التجارة، اشتغل النبي صلى الله عليه وسلم بها، فكان نعم التاجر، شعاره الصدق والأمانة، وعدم الاحتكار والاستغلال.

فنال صلوات الله وسلامه عليه ثقة الناس، وكسب محبتهم، وفاز بتقديرهم له، ونال عظيم الثناء، ووصفوه بالصادق الأمين.

ذلك النبي صلى الله عليه وسلم أسوتنا، وهو الذي منع الاحتكار، وحذر منه، لأن الاحتكار كسب مالي غير مشروع، وهو جمع أقوات الناس، وحاجيّاتهم، وتخزينها، حتى تقلّ في الأسواق، ثم عرضها بأسعار مرتفعة.

يا عبد الله، لا يكون الاحتكار إلا ممن فسد طبعه، وساء خلقه، إذ كيف يُقدم عليه المسلم وهو محرم شرعًا، ومذموم عقلاً، وممقوت طبعًا، وعلة مقته الإضرار بالناس، والتضييق عليهم، والله المستعان.

أحبتي في الله، التاجر المحتكر الجشع، همّه وهدفه جمع أكبر كمٍّ من المال، من حلال أو حرام، فتراه يَعمدُ دائمًا إلى استغلال الناس، واحتكار السلع ورفع أسعارها، ناسيًا أن الله تعالى لن يبارك له في تجارته، ولا في ماله ولا أهله، فكل ما نبت من سُحتٍ فالنار أولى به.

المحتكر أيها الأخ الفاضل، ويا أيتها الأخت الفاضلة، المحتكر غير قانع بما قسمه الله، فهو ضعيف في عقيدته وإيمانه، وغير واثقٍ برزق ربه، ولذا استحق الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، لأنه لم يرحم من في الأرض، فلن يرحمه من في السماء، ولا أدل على ذلك من دليل، إلا أن تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحتكرين: ♂**الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون**═، رواه ابن ماجه.

أضف إلى ما ذكر، أن عقوبة المحتكر، ليست أمرًا هينًا في الآخرة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وحَسْبُ المحتكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليُغليه عليهم، كان حقًا على الله تبارك وتعالى، أن يُقعده بعُظْمٍ من النار يوم القيامة**═، رواه أحمد.

ذلك هو شرع الله، وتلك هي تعاليم ديننا بخصوص الاحتكار،

فاتقوا الله يا أيها الأحبة، واحرصوا على التخلق بالأخلاق الفاضلة، والسجايا الكريمة، ولا تكونوا ممن زاغت عقيدتهم، وساءت طويتهم، وغلبت عليهم أنانيتهم، فباعوا نعيمًا مقيمًا دائمًا، وآخرة خالدة، بحطام من الدنيا زائل.

إخوتي الأعزاء، الله الله، ولا يحملنكم حب المال، أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا يطلب إلا بطاعته، وليكن لكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، تشبهوا بالصحابة الكرام، رضوان الله عنهم أجمعين، تشبهوا بمآثرهم الجليلة، حتى يسجل لكم التأريخ في صفحاته، كما سجل وبأحرفٍ من نور لأولائك الأفذاذ.

فمن ذا الذي ينكر ما سجله التاريخ؟ أليس محمد صلى الله عليه وسلم ، هو الصادق الأمين، بلى والله بلى.

من نَسيَ مرور عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الأسواق ليضبطها، وليراقب تطبيق التجار لمبادئ الإسلام؟

ومن يقوى على نسيان ذلك التاجر النبيل، الذي تحرّى الحلال في تجارته، ولم يحتكر قط، ولم يكن أبدًا عبدًا للدرهم والدينار؟ وحاشاه حاشاه، كيف وهو عبد الرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه وأرضاه!

إنها صفحات ناصعة البياض، لهؤلاء، ومن بعدهم كثير، ممن لم يستغلوا المسلمين أيام المحن والشدائد، بل بذلوا غاية الوُسع، وقصارى الجهد، ليخرج المجتمع الإسلامي من محنته، وهو أصلبُ عقيدة، وأقوى إيمانًا، وأكثر تماسكًا، وأشد تكافلاً.

فيا أيها الأخ الحبيب المبارك، وأيتها الأخت الكريمة الفاضلة، هلاّ أيقنا بأن لا حيلة في الرزق، وأن الأرزاق بيد الله، وما الله بظلامٍ

للعبيد؟

وهلاّ آمنا بأن الله:{هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٨]، و{ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ } [الشورى: ١٩].

وقفة أيها الفضلاء، فلا لاستغلال الناس، ولا للتضييق عليهم في معايشهم، ولا للإضرار بالآخرين، وبالجملة لا للاحتكار، لا للاحتكار، لا للاحتكار.

نسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح، وأن يهدينا سبلنا، فهو سبحانه يهدي السبيل.

* * *